ساعدوا في تحقيق خضوع مكة سلماً للرسول ـ وخاصة دور أبي سفيان، سيِّد عشيرة أمية النافذة. وفي نفس الوقت، تعظم المصادر دور العباس، جدُّ السلالة الحاكمة التي في أيامها كتبت. وعلى الرغم من الروايات المنحازة في المصادر، فإنها لاتعتِّم تماماً على دور أبي سفيان الحاسم في فتح مكة.

وإذا لم يكن هناك نوع ما من الاتفاق بين الرسول وأبي سفيان، فكيف يمكن تفسير غياب هذا الأخير عن المفاوضات في صلح الحديبية؟ أو زواج الرسول اللاحق من ابنته؟ أو حقيقة أنه كان صانع السلام عندما انتهكت المعاهدة بعد عامين تقريباً؟ فأبو سفيان كان في مكة أثناء المفاوضات على صلح الحديبية، لكنه لم يشارك بها؛ وعثمان بن عفان، الذي أوفده الرسول للتفاوض مع المكيين على دخول المسلمين سلماً إلى الحرم، كان مقيماً في دار أبي سفيان(٣٨). وعثمان، الأموي، اختير كمفاوض مع المكيين بسبب انتمائه إلى هذه العشيرة النافذة. وقد وفرت له عشيرته الحماية وامتنعت عن القيام بأي عمل عدائي ضد المسلمين(٣٩). وفوق ذلك، فالرسول تزوج ابنة أبي سفيان، أم حبيبة، خلال فترة قصيرة بعد صلح الحديبية(٤٠). وعندما انتهكت المعاهدة، كان أبو سفيان الوسيط بين المكيين والمسلمين(٤١). ويذكر أنه ذهب إلى المدينة للتفاوض عل تجديد معاهدة السلم، وأنه التقى الرسول في مرِّ الظهران، وأسلم قبل دخول جيش المسلمين مكة. وقد أكرم الرسول عدوه القديم بإعلان داره جواراً آمناً(٤٢). ودخل أبو سفيان بصحبة الرسول وجيش المسلمين إلى مكة كحليف يحظى بتقدير عالٍ، وليس كعدو مهزوم وضيع. وبذلك، انقذ المدينة من النهب وسفك الدماء(٤٣)، وحوَّل سلاح